



د. مظهر محمد صالح*: الصين والستار الحديدي الجديد للشيوعية: رؤية في الاقتصاد السياسي للنمو

1. تمهيد

أثار استاذ الاقتصاد في جامعة جورج ميسون الامريكية Tyler Cowen قبل ايام تساؤلاً مهماً تناولته مؤسسة Bloomberg وكان مفاده: هل يتصدع النموذج الصيني للتنمية؟

Is the Chinese model of economic development cracking?

فبعد ان عرض تايلر كوين الموديل الاقتصادي الذي سارت عليه الصين وحققت اعلى واسرع مستويات النمو لها في العالم ذلك في مطلع القرن الحادي والعشرين وهو المعدل الذي لامس متوسط لم يقل عن 10% في الناتج المحلي الاجمالي، انصرف الكاتب الى تحليل طبيعة نموذجين اعتمدتهما الصين في تعظيم نموها الاقتصادي. ويقوم الموديل الاول: على ما يسمى باجماع واشنطن Washington consensus الذي يؤمن بحرية التملك لوسائل الانتاج وتحرير الاسواق ودور القطاع الخاص واحلال المنافسة الحرة، وتمثل بالأقاليم والمقاطعات الجنوبية البحرية للصين التي اندمج فيها راس المال الصيني براس المال العالمي واصبحت تلك المقاطعات قوة انتاج واستثمار عالية النمو والتحرر الاقتصادي. في حين انصرف الموديل الثاني في تعظيم النمو الاقتصادي على ظاهرة ما يسمى باجماع بكين Beijing consensus حيث يقوم على مبدأ ملكية الدولة لوسائل الانتاج ضمن اقتصاد موجه، حيث وظّفت الصين في هذا الموديل وبكفاءة عالية (قوة الدولة) لبناء البنية التحتية وادارة مدنها وتعزيز النمو الاقتصادي.

عمل النموذجان بشكل ثنائي متوازن في تعظيم مستويات النمو في البلاد. الا ان الكفة اخذت تميل الى الموديل الثاني لاسيما مع توسع الصين في تنفيذ استثماراتها عبر البحار ولاسيما في افريقيا واميركا اللاتينية ذلك باستخدام قوة الدولة الصينية لنشر اجماع بكين من خلال الشركات الحكومية الصينية على حساب اجماع واشنطن والقطاع الخاص الصيني، كما واصبحت المالية العامة الصينية منذ الازمة



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

المالية العالمية (ازمة الرهن العقاري) الذراع التدخل التصحيجي في ميكانيكيات الموديل الاول ودعم توسيع اجماع بكين (عبر البحار) على حساب اقتصادات اجماع واشنطن ولاسيما في مقاطعات الصين (الساحلية) المتحررة اقتصاديا.

إن انقلاب التوازن بين النموذجين الاقتصاديين بدأ يؤشر ان دورة تعظيم النمو الاقتصادي قد اخذت بالتراجع مع ابتعاد اجماع بكين عن اجماع واشنطن واختلال درجات التوازن بينهما بسبب تفاوتات الكفاءة الاقتصادية بين الموديلين بعد ترهل كفاءة الموديل الثاني الذي اتسعت مساحته داخل الصين وخارجه كقوة اقتصادية مركزية حكومية.

وبناء على ما تقدم، ينصرف هذا البحث الى التحري عن اهم العوامل الاقتصادية والجيوسياسية الصريحة والكامنة في صعود النمو الاقتصادي وهبوطه التي ادت الى بدأ انخفاض دورة النمو الاقتصادي الصيني The rise and fall of economic growth in China بانتظار ارتفاعها.

2. لغز النمو الصيني

ا- بنيت مصادر القوة في الاقتصاد الصيني وتمدده المريح تاريخياً عبر البحار، وحصاده نتائج ثاني اقتصاد في العالم، على مراحل عديدة في التاريخ الاقتصادي للصين ابتدأت بصورة دورة اقتصادية تاريخية historical economic cycle وبمراحل مختلفة واهمها وأخطرها كانت مرحلة الانغلاق والتدهور في النمو لتسجل تجربة تاريخية مريرة. اذ كانت الصين يومها رمز العالم الميركنتالي الاول في نطاق عولمتها وتمددها البحري في القرن الخامس عشر قبل انكماشها وانكفائها نحو الداخل اذ يتفق معظم المؤرخين الاقتصاديين انه بحلول نهاية القرن الرابع عشر الميلادي كانت الصين واحدة من أكبر أمم الأرض تقدماً في الحقل الاقتصادي. في حين كانت أوروبا في بدايات شفاؤها من قرون تخلفها وتدهورها بشكل أو بآخر، إذ وصل المجتمع الصيني الى درجات عالية من التنظيم الإداري والعمليات الاقتصادية البالغة التعقيد. ويعود فضل الابتكارات وتطورها - مثل المحاسبة وصناعة البارود والبوصلة البحرية والنماذج المتنقلة والمتداولة من مختلف الموجودات، فضلاً عن صناعة الفخار الصيني (البورسلين)- الى نشأة



أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

الامبراطورية الصينية الوسطى. فمثلما عدُّ الرحالة الايطالي (ماركو بولو) المتوفي في العام 1325م من طلائع التجار الأوروبيين المشهورين ممن حاولوا اختراق أسواق الصين واكتشافها، فقد عدُّ المؤرخ الاقتصادي البريطاني انغس مادسون هو من اكتشف بأن القرن الرابع عشر الميلادي هو المقياس التاريخي الذي أظهر تقدم الصين في مجال الانتاج لأغراض السوق. وان الصين كانت متقدمة تكنولوجيا على أوروبا في ذلك القرن. ولكن ما حدث خلال القرون الستة اللاحقة من مفاجآت أشرفها ازدهار المستوى المعاشي الأوروبي بنحو 25 مرة مقارنة بالصين حتى الوقت الحاضر، في حين لم يزد متوسط دخل الفرد الصيني سوى 7 مرات، وان هذه الزيادة في مستوى معيشة الفرد الصيني حصلت خلال السنوات الـ 25 الأخيرة، الأمر الذي جعل من الصين دولة لا مثيل لها في ارتفاع الدخل ونموه. فبعد الإصلاحات التي أقدمت الصين عليها في ثمانينيات القرن الماضي ودخولها الى اقتصاد السوق والانفتاح على العالم، ارتفع متوسط نمو الدخل السنوي فيها بنحو 10% على 10 بالمئة منذ العام 1990. وفي ظل هكذا معدل مرتفع من النمو السنوي في الناتج المحلي الإجمالي أو الدخل الوطني، فإن حجم أو مقدار الاقتصاد الصيني لا بدّ من أن يتضاعف كل 7 سنوات. كما ان التقدم المتسارع والمستمر الذي أحرزه النمو الاقتصادي في الصين، سيجعل متوسط دخل الفرد الصيني مقاربا الى حافات متوسط دخل الفرد في بلدان الاتحاد الأوروبي بحلول العام 2025.

لقد أثارت ظاهرة النمو المتسارع أو المرتفع في الصين جملة من التساؤلات التي كان من بينها: لماذا ظلت الصين تكابد الركود الاقتصادي لقرون عديدة؟ ولماذا انطلقت الصين بهذه القوة الاقتصادية في تسعينيات القرن الماضي؟ يلحظ ان هناك العديد من النظريات المفسرة لظاهرة النجاح التي تنعم بها الصين اليوم والتي ينطلق جلّها من حقيقة واحدة هي: انه لولا انفتاح الصين على العالم في التجارة والاستثمار الأجنبي المباشر، لمّا حدث هذا النمو العظيم. فالافتراض الجدلي الغالب لدى بعض المؤرخين الاقتصاديين، يعزو الركود الصيني السابق الى مرحلة ما بعد القرن الخامس عشر الميلادي، يوم كانت الصين تمتلك ما يزيد على 3500 قطعة بحرية كبيرة خلال حكم امبراطورية (مينك) في العام 1433، وهو الأسطول البحري الصيني الأوسع والأكثر انتشاراً في العالم وقت ذاك وتحت قيادة الادميرال البحري (زنك هي). إلا ان اتباع سياسة الانكفاء نحو الداخل الصيني لتحسين



أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

الأحوال، إضافة الى المخاوف الناجمة من تهديد الغزو المغولي البري وانعدام الثقة بطبقة التجار التي كانت تنتفع من تعاملاتها الخارجية او الدولية باستخدامها الاسطول البحري لجني الثروات الكبيرة، جميعها قادت الصين الى إغلاق نفسها من التأثير الخارجي. ولكن النتائج كانت كارثية في انكفاء الصين على نفسها! وان الحقيقة المستخلصة التي يراها معظم الاقتصاديين الغربيين حول ذلك الانكفاء غدت تحذيراً من الخطر الكامن من إطلاق العنان ضد العولمة!

ب- أشر رفض كارل ماركس في توصيف الشيوعية او الاشتراكية وهي في مرحلتها الأولى المدخل الايديولوجي للقيادة الصينية في اعادة فهم المادية التاريخية في بلادهم، اذ يعتقد الكاتب والفيلسوف الفرنسي المتخصص في الشؤون الصينية برونو غيغو بان الصراع الطبقي هو الذي سيحدد ملامح المجتمع في المستقبل. اذ أصغى الصينيون لهذه المقولة الماركسية جيداً. فمع القادة (ماو ودينغ وشي) تمكنوا من تصنيف (sinisé) الماركسية واكتشفوا طريقهم الخاص الذي يتلاءم مع الظروف الموضوعية للواقع الصيني. لم يكن هذا بالأمر الهين، لكن النتيجة باتت ملموسة: اذ أنقذ الشيوعيون الصينيون، في السبعينيات من القرن الماضي، 20% من البشرية من وهدة التخلف. فهذا النجاح غير المسبوق قد وفر البرهان الساطع على تفوق الاشتراكية بنسختها الصينية على الرأسمالية يوم ذاك، ناهيك عن وضع تقييم مقارن على صعيد الازمة الصحية الأخيرة التي طالت كل من الصين والولايات المتحدة، والتي باتت امراً مروعا بالنسبة للقوة الرأسمالية الكبرى في عالمنا.

ج- وعودا على بدء، استفادت الصين من السياسة الامريكية في السماح لها بالانفتاح على العالم لقاء توسيع الستار الحديدي iron curtain على القطب السوفياتي منذ اول سبعينيات القرن الماضي عبر صفحة العلاقات الجديدة لزيارة نيكسون-كيسنجر وادماج اقتصادها بالاقتصاد العالمي. فزيارة الرئيس الامريكي نيكسون الى بكين في العام 1972 هي بداية انفتاحها على العالم الرأسمالي وانسحابها من العالم الشيوعي السوفياتي ودق اسفين من العداء الايديولوجي بين موسكو وبكين. فهي أول زيارة يقوم بها رئيس أمريكي إلى الصين، بغية فتح صفحة جديدة معها، بعد أن كانت العلاقة بين البلدين مقطوعة بسبب الحرب الكورية، وقيام الحكومة الأمريكية بدعم عسكري مستمر لحكومة تايوان (جمهورية الصين



أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

الوطنية)والدعم الصيني السوفيتي السابق لجمهورية فيتنام الشمالية التابعة للشيوعية، مما أثار انتقادات مستمرة بين البلدين بعد انقطاع دام أكثر من عقدين من الزمن.

د- دور (صدمة نيكسون Nixon shock) في اندماج الصين بالاقتصاد العالمي.

ان انفتاح الصين على النظامين التجاري والنقدي العالميين (بعد بصدمة نيكسون Nixon shock وهو الاجراء الذي اتخذه الرئيس نيكسون شهر آب/اغسطس من العام 1971 بإيقاف تحويل الدولار الى ذهب)، اعتمدت الاستراتيجية الخارجية للولايات المتحدة على محورين مساعدين لاستمرار الهيمنة المالية الامريكية وابقاء الدولار العملة الاحتياطية الاولى بالعالم ، فالأولى: تمثلت بتحرير اسعار السوق النفطية وتشجيع تأمين النفط في بلدان الاوبك وتحرير اسعاره لكون النفط سلعة استراتيجية دولارية، اذ أصبح الدولار الممر النقدي الرئيس في الطلب على الطاقة ،والثاني: ادماج اكبر بلدان العالم سكانا وهي الصين بانفتاحها على العالم والتعاطي بعملة الولايات المتحدة في تجارتها واستثماراتها الدولية وتوليد قوة طلب فائق على الدولار في تمويل النظام التجاري العالمي. والثالثة، هي اندماج الصين بالعولمة التشاركية بشكل متسارع منذ اول الثمانينيات من خلال تبني نمط اقتصادي ليبرالي يتفق واجماع واشنطن Washington consensus اي بناء نموذج باقتصادين في بلد واحد two economic systems in one country. اذ بدأت الصين بتحرير مناطق الجانب البحري من الاقتصاد الصيني ولبرلته ولاسيما مناطق سواحل جنوب شرق الصين وعددها وحدات متحررة اقتصاديا او مناطق حرة في الاستثمار والتجارة والانتاج ما سارع باندماج التقدم والتكنولوجيا والاستثمارات العالمية باقتصاد الصين الذي بدأ عهده في العام 1978 بشعار (الصعود السلمي للتنمية). فضلا عن الحفاظ على هونغ كونغ كقوة رأسمالية مندمجة بالعالم الغربي برقابة صينية عند استعادتها في تسعينيات القرن الماضي كإشارة للشراكة الحرة مع الاقتصاد العالمي.

لقد وضع التغير النوعي في تسعينات القرن الماضي الشعب الصيني على المحك. اذ كان خيار الانفتاح والإصلاح خيارا صعبا، وملينًا بالتناقضات، حيث أدى الى زعزعة



أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

قواعد المجتمع الذي تشكّل وفقاً لمنظور الأيديولوجيا الماوية منذ العام 1949. إلا أن الطفرة الاقتصادية ساهمت في انشاء قاعدة صناعية ذات نمو غير مسبوق اطلاقاً، واسهمت في انتقال المجتمع من مجتمع اغلبية شعبه من الفلاحين يعيشون في الأرياف، الى شعب من الأجراء يعيشون في المناطق الحضرية. وبفضل هذا النمو، فإن حلقة التطور تركت أثرها الجيد على بقية أطراف المجتمع

3. العولمة التشاركية وبدايات الحرب الباردة الجديدة

1- امست تشاركية العولمة وشيوع الحريات الاقتصادية كأيديولوجية ليبرالية وبتقافة شبه واحدة هي ثقافة السوق، تُحمّل الدول الرأسمالية المركزية صانعة العولمة تكاليف ادارية عالية افقدت الرأسمالية التقليدية مواقع تاريخية مهمة كانت مصدراً للتراكم الرأسمالي التاريخي لها ولوحدها، من دون شركاء منافسين في بناء معدلات النمو والتفرد الاقتصادي فيها. مقابل اتساع مناطق جغرافية واقتصادية دولية زاحفة امست اليوم شديدة التنوع (التكنولوجي والاقتصادي) وتفرض في الوقت نفسه إيرادات عالية التوازن والتقسام العادل لثروات الأمم. فلا مناص للأقوياء من الدول الرأسمالية المركزية الا العودة إلى السياسات المتروبولية metropolitan القومية القديمة وهي الأكثر قوة وسيطرة على محيط العالم او مراكزه الصناعية الناشئة.

وهي سياسة في العلاقات الاقتصادية الدولية بدأت قاسية التوجهات يرافقها نكوص اقتصادي يتمثل بالكساد العالمي الراهن وجائحة كورونا التي أصبحت العربة التفكيكية للاقتصاد العالمي مقابل استمرار ايديولوجيا الشراكات العادلة او المستقرة التوازن والتي مازالت قائمة وتمارس فعلها العملي في مؤسسات العولمة مثل منظمة التجارة العالمية والكثير من الفعاليات الأممية الشديدة التأثير.

وقد أصبحت هذه التنافسية المؤسسية موضع نزاع حاد بين الشركاء الدوليين ولاسيما من الأقوياء المشاركين في اللعبة التعاونية في ادارة الاقتصاد العالمي (كالصين وروسيا وغيرها من اقتصادات آسيا على وجه التحديد). فسياسة تفكيك المؤسسات التعاونية الاقتصادية الدولية (المعولمة) والعودة بها الى مراحل مماثلة لأزمة الحرب الباردة ستكون الموديل الاقتصادي الجيو-آيديولوجي للرأسمالية



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

اللاتشاركية الجديدة والممارسات الانعزالية التي اخذت تولد من رحم العولمة بكونها الموديل الأفضل في سرعة امتصاص الفائض الاقتصادي العالمي الكامن. ذلك لما ستوفره العزلة الحالية بين دول العالم من قوة في التفرد وسرعة ومثانة في السيطرة والهيمنة بأشكالها وتطبيقاتها المختلفة ذات الإرث الاستعماري التاريخي (كالهيمنة العسكرية والتكنولوجية والمالية والتجارية والاستثمارية) ومن ثم تحقيق مكاسب احادية من دون السماح بشيوع تقاسم المنافع الدولية والتي توفرها الشركات المعولمة لليبرالية الجديدة تلقائياً.

فاللعبة التعاونية المعولمة التي مارستها الدول ومنظماتها ومؤسساتها الساندة والمؤازرة خلال العقود الاربعة الاخيرة كأيدولوجية (ترضية) للقطب الواحد قد انتهت بأعباء ظلت تكاليفها الادارية كبيرة وتحملتتها الدول الكبرى اميركا بالذات وأوروبا وبقت منافعها النسبية تدر مكاسب على الشركاء الاخرين من دول العالم الصغار والكبار والراكين الاقتصاديين المجانيين وعلى نطاق واسع، ما جعل الصين على سبيل المثال تتفوق بالرقم واحد في الاقتصاد العالمي في عدد الشركات الكبرى الخمسمائة عالمياً وتحظى بأكبر تمثيل دبلوماسي في العالم، وأمست اكبر دولة تمتلك القدرة على تصنيع براءات الاختراع، فضلاً عن تقارب حصتها في التجارة العالمية من حصة الولايات المتحدة لتبلغ حافات الاقتصاد الأول في العالم. وان جميع هذه التسارعات قد جاءت بفضل العولمة التشاركية.

ومن قبيل الصدفة أطلقت مؤسسة Brookings Institution الامريكية في إيجازها اليومي في 9 تموز 2020 تعقيباً اوروبياً خطيراً لاحد كبار زملاء المركز الأوروبي المعني بالمشاريع الاستراتيجية والعلاقات الدولية والسياسة العامة بين أوروبا والولايات المتحدة وهو (توماس رايت) والذي جاء تحت عنوان: أوروبا تغير افكارها ونظرتها صوب الصين! اذ يرى الكاتب توماس رايت ان القوة التي تشجع أوروبا حالياً في تغيير سياستها صوب الصين هو رفض الأخيرة بإنهاء ما اسماه بسرقة الصين لحقوق الملكية الفكرية فضلاً عن تضيق فرص الاتحاد الأوروبي بالدخول إلى أسواق الصين. وقد استعمل توماس رايت عبارة: ان الصين استخدمت أدوات اقتصادية تصحيحية وعلى وفق رغباتها وتأثيراتها السياسية في أوروبا وممارسة تطبيقات ضيقة عديمة الليبرالية illiberal على المسرح العالمي.



أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

وهكذا فإن الاقتصاد العالمي وأقويائه من الكبار لا يسمحون ان يتحول العالم الى ادارة مشتركة اشبه بمنظمة مجتمع مدني تحت ظلال أيديولوجيا العولمة وذوبان الفروق التاريخية في تحصيل التراكم الرأسمالي global capital accumulation على الصعيد العالمي او التشارك به بين الامم وبعدالة طوعا او كرهاً! وان العالم الرأسمالي الصناعي بإرثه التاريخي قد أخذ يعيد ترتيب مراكز القوة فيه بعد الانعزال الإجباري العظيم great lockdown لجائحة كورونا لمصلحة بناء القوة الرأسمالية المتروبولية القديمة بلباس رقمي آخر يؤسس لاقتصاد القرن الحادي والعشرين وبلوغ قرن اقتصادي أمريكي بقطبية احادية تؤازرها كتلة دولية انكلو سكسونية بالغالب معولمة مصغرة micro globalization لا محالة.

ب-وعلى الرغم من الصراع والخلاف الواسع داخل الحكومة الصينية وهو ما يلفت النظر إليه الخبير الروسي المعروف في شؤون الصين، نيقولا فافيلوف، من صراع داخل الحكومة الصينية بين الرئيس الصيني شي جين بينغ، الذي يسعى إلى فك ارتباط الصين بالولايات المتحدة الأمريكية، وجعلها قوة رائدة في العالم، وبين مجموعة ترتبط مصالحها بالتعاون الاقتصادي مع الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تمثل الشريك الأصغر لواشنطن. اذ تغذي هذه المجموعة، بطبيعة الحال، الشركات التي تجني الأموال من التجارة مع الولايات المتحدة، وكذلك الشركات التي استفادت من تضخيم فقاعات الائتمان، ويشمل عدداً من أكبر الشركات في قطاع العقارات.

الا ان الامر قد اختلف اذ باتت الصين بمثابة قطب احادي unipolar مناوئ وخطير لأميركا والمنظومة الغربية ويسعى ذلك القطب الى اقامة احلاف وكتلة عالمية وهو بمثابة تراجع في النظام السياسي الاقتصادي الدولي مجددا نحو (القطبية الثنائية). اذ تعد الصين اليوم بنظر البعض في الولايات المتحدة محور تحول من مرحلة (الخصم) الى مرحلة (العدو) وهذا ما تؤكد نشوء سلسلة الاحلاف العسكرية الغربية المتسارعة المحاذية لبحر الصين الجنوبي وامتداداتها نحو المحيط الهندي والهادي ما يعني ان حصارا تكنولوجيا واستثماريا وتجاريا ستمارسه المنظومة الغربية على القطبية الصينية تدريجيا ومنع عولمتها التشاركية او استمرار عدها راكب مجاني على العولمة free-rider دون قيود، بل يمكن



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

ادخالها بما يمكن ان اسميه (بالحرب الباردة الناعمة الجديدة - the new soft
(cold war

فالشراكة الدفاعية الجديدة التي أعلنت عنها كل من أستراليا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في ايلول/سبتمبر 2021 لـ"حماية مصالحها" في المحيط الهندي قد اثارت غضب الصين التي اعتبر مسؤولوها بأن ذلك "حرب باردة جديدة". هذا وأطلقت الدول الثلاث على هذه الشراكة اسم "تحالف أوكوس AUKUS" وقالت إنها "ستعمل على تعزيز تطوير القدرات المشتركة ومشاركة التكنولوجيا، مما يضمن حماية مواطنيها من أي أذى وتعزيز أهدافها المشتركة". بالمقابل تدخل هذه الشراكة في إطار التحرك الغربي للحد من النفوذ الصيني في منطقة المحيطين. وبالتالي، ردت الصين على ذلك بالتعبير عن امتعاضها. وقالت الدبلوماسية الصينية في واشنطن إن على الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا "التخلص من عقلية الحرب الباردة والتحيّز الأيديولوجي"، وذلك في معرض الرد الصيني على الاتفاق الأمني الجديد بين الدول الثلاثة. مؤكدة إن الدول الثلاثة "يجب أن لا تشكل كتلتا إقصائية تستهدف مصالح أطراف ثالثة أو تضر بها".

ج- ان جهود الصين وإنجازاتها في تعزيز الرخاء المشترك وسط تنمية عالية الجودة، ولا سيما حول «مبادرة الحزام والطريق Belt and Road Initiative» جاءت جلية في عدد خاص لمجلة «China Insight» التي يصدرها «المكتب الصحافي للإدارة الدولية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني».

والذي نشر في ايلول/سبتمبر 2021 مبيناً: «انه منذ اقتراح مبادرة الحزام والطريق في عام 2013، بلغ إجمالي الاستثمار الصيني المباشر غير المالي في البلدان الواقعة على طول طرق الحزام والطريق 104.72 مليارات دولار».

وأضاف التقرير الشيوعي إن «اتفاقية الشراكة الاقتصادية الموقعة في عام 2020 بين 15 اقتصاداً في منطقة آسيا والمحيط الهادئ ستفيد الصين، كأحد المشاركين، بالإضافة إلى المنطقة بأكملها والدول الأخرى المشاركة في المبادرة».



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

وأشار التقرير الشيوعي إلى أنه «في عام 2020، زادت تجارة الصين مع الدول الواقعة على طول طريق الحزام والطريق بنسبة 1%. على وجه الخصوص، وتحسنت التجارة بين الصين ورابطة دول جنوب شرق آسيا بنسبة 7 في المئة».

كما لفت إلى أنه «على الرغم من جائحة فيروس كورونا المستجد، فإن الاستثمار الأجنبي المباشر الخارجي غير المالي للصين في هذه البلدان لم يتراجع، بل ارتفع بنسبة 18.3 في المئة على أساس سنوي في عام 2020 ليصل إلى ما يقرب من 18 مليار دولار. شكلت 16.2 في المئة من إجمالي البلاد، ارتفاعاً من 13.6 في المئة في 2019».

وعن التدفق المتزايد لرأس المال الصيني إلى مشاريع البنية التحتية لمبادرة الحزام والطريق، قال التقرير إن التدفق لم يتسبب «في حدوث أي أزمة ديون في البلدان المضيفة»، عازياً السبب إلى «الطريقة التي يتم بها اتخاذ قرارات التمويل». وأضاف إن الحكومة الصينية «سلّطت الضوء على القدرة على تحمل الديون في تعاون الحزام والطريق»، مشيراً إلى أنه «في عام 2019، أصدرت وزارة المالية دليلاً إرشادياً حول إجراءات ومعايير تقييم القدرة على تحمل الديون، وتحليل المخاطر وإدارتها، واختبار الإجهاد لجعل العملية واضحة وشفافة».

وأشار إلى أنه «عندما تكون الدول المشاركة غير قادرة على سداد الديون للوكالات الصينية، يتم البحث عن طرق لحلها من خلال المشاورات».

د- من (اجماع واشنطن) الى (اجماع بكين Beijing consensus)

بنى الصينيون استراتيجيتهم في التمدد نحو العالم الرأسمالي المحيطي peripheries و التي تقوم على التوسع الاقتصادي بعد ان بدأ العد التنازلي للاستعمار الغربي الجديد. فالصين تصدر المنتجات المصنعة وتستورد المواد الأولية؛ لكنها تمول وارداتها من خلال بناء البنى التحتية infrastructures في تلك البلدان. وهذا البرنامج يحقق المنفعة للصين مثلما هو نافع أيضاً للبلدان الشريكة. فهو بعيد كل البعد مما تراه الصين عن السياسات النيو ليبرالية المفروضة من قبل المؤسسات المالية الدولية، والتي تطلب مقابل الدعم المالي القيام بإجراءات



أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

تقشفية مستوحاة من ما يسمى "اجماع واشنطن Washington consensus" فمنذ عشرين عاما قام الصينيون بخرق السياسة الغربية من خلال البديل "اجماع بكين Beijing consensus" الذي يدعو الى: ان البلدان التي ترغب بالعمل مع الصينيين ليسوا مجبرين على خصخصة مؤسساتهم العامة، والتي من خلالها يتم تقديم هدايا (مجانية) الى الأثرياء عبر تفكيك بنية الخدمات الاجتماعية (في تلك البلدان). انه انقلاب حقيقي في مجال بناء العلاقات الدولية، وهو تعبير عن الصراع الطبقي على المستوى العالمي بين اجماع واشنطن واجماع بكين.

4. الصين: من الحرب التجارية الى حرب الغذاء!

لن يمر خطاب الرئيس الامريكي جو بايدن امام المشرعين في الولايات المتحدة في مطلع العام 2021 عندما اطلق عبارته الخطيرة: بأن الصين سوف "تأكل غذائنا" ما يشير الى مخاوف واشنطن من صعود الصين كقوة عظمى مهددة لأمن الولايات المتحدة، لتبدأ في الوقت نفسه بحرب غذاء مخفية اعقبت الحرب التجارية التي اعلنها الرئيس الامريكي السابق دونالد ترامب ضد الصين في اذار من العام 2018 وحملت الصين رسوم على صادراتها الى الولايات المتحدة الامريكية لترتفع من 10% الى 25% على سلع وخدمات صينية قاربت قيمتها نصف تريليون دولار سنويا متهما الصين بالممارسات التجارية غير العادلة وسرقات الملكية الفكرية. وكرد انتقامي من الحكومة الصينية، فرضت الصين رسوم كمركية على اكثر من 128 منتج امريكي (اشهرها فول الصويا).

ثم جاء خطاب الرئيس الامريكي بايدن بان الصين سوف تأكل غذائنا، اذ رد الرئيس الصيني شي جين بينغ في العام نفسه قائلاً: لقد تمّ القضاء على الفقر المدقع في بلادنا التي هي أكبر بلد في العالم من حيث عدد السكان. ذلك أمام تجمع كبير عَقِدَ في بكين للاحتفال بإنجازات البلاد في القضاء علي الفقر المدقع. اذ اعلنت الصين انه تم على مدى السنوات الثماني الماضية إزالة جميع المحافظات والقرى الفقيرة البالغ عددها 832 محافظة و 128 ألف قرية فقيرة من قائمة الفقر.



أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

ومنذ إطلاق الإصلاح والانفتاح في أواخر السبعينيات تخلّص ما يقارب 770 مليون نسمة من سكان الريف من حالة الفقر ذلك استنادا الى خط الفقر الحالي الذي تعتمد عليه الصين.

وأسهمت الصينُ بأكثر من 70 % من الحدّ من الفقر العالمي خلال الفترة نفسها. اذ يسرد الدكتور ضياء واجد المهندس في عمود وجداني رائع عن تاريخ الصين الزراعي بالقول:

تبّى ماو في الخمسينيات مشروع (السّير بقدمين) والذي يعني المُضيّ بالزراعة والصناعة؛ مع مشروع (القفز إلى الأمام) لتطوير الصناعات الثقيلة و إنتاج الفولاذ بالاعتماد على الموارد البشرية وليس على التقدّم التكنولوجي.

أنتجت مشاريع الرئيس الصيني (ماو تسي تونغ) أكبر مجاعة كونيةٍ راح ضحيتها أكثر من (50 مليون صيني)؛ أكل الصينيون في زمنها كلّ الحيوانات و القوارض والغرباء و حتى الأقارب والأهل.

فَتَحَت الصين كلّ خزنها الاحتياطي من الحبوب؛ و ساعدها العالم لتتجاوز المجاعة؛ وبَقَت الصينُ تضمُّ مناطق فقيرة و نظامًا شيوعيًا مستبدًا حتى الثمانينيات عندما تشكّلت منظومة الإدارة الاقتصادية المُدمجة بين الشيوعية و الرأسمالية.

وبالرغم من هذا وذاك يمثل سكان الصين أكثر من سدس سكان العالم، في المقابل لا تتوفر إلا على 9% من الأراضي الصالحة للزراعة و6% من المياه العذبة. بالتالي تعتمد في إطعام شعبها بشكل أساسي على الواردات الأجنبية. وحسب أرقام وزارة الزراعة الأمريكية، فإن 29% من صادراتها من لحوم البقر سنة 2020 كانت موجهة نحو الصين، إضافة إلى 48% من لحوم الخنازير و60% من حبوب الصويا. وإزاء الاشارات الخطيرة التي اطلقها الرئيس بايدن في خطابه انفا مضت الصين بشراء معظم احتياطات الغذاء في العالم من خلال تخزين كميات كبيرة من القمح والأرز والذرة في مستودعات البلاد.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

ووفقاً لموقع "ميكا آسيا"، فإن وزارة الزراعة الأمريكية أكدت أن المخزونات الصينية من المواد الغذائية تشهد نمواً عام 2022، مضيفة أن بكين قد تشتري نصف احتياطات الغذاء العالمي من خلال تخزين 69 في المئة من إجمالي كمية الذرة و60 في المئة من الأرز و51 في المئة من القمح.

ويرى الخبراء أن الصين زادت من احتياطاتها الغذائية بنسبة 20 في المئة خلال السنوات العشر الماضية، مؤكداً أن هذه الأرقام عالية لدرجة أن هناك خوفاً من ارتفاع أسعار المواد الغذائية.

لذا فإن شهية الصين الكبيرة لشراء الحبوب في خضم حرب الغذاء المخفية hidden food war قد تؤدي لامحالة إلى مزيد من الانخفاض في الإمدادات العالمية للغذاء وتخلق ظروفاً للارتفاع المطول في أسعار المواد الغذائية.

5- الخاتمة

ختاماً، تؤكد المشكلات الداخلية في الصين اليوم أن نصف سكان البلاد مازالوا يعيشون مرحلة ما قبل الرأسمالية ويمارسون آليات النظام الاشتراكي في الإنتاج والتوزيع والعيش وهم من محدودي الدخل وأن تطور العزلة الغربية تجاه الصين سيحول الصين بلا ريب لتكون تدريجياً الأقرب إلى نموذجها الاقتصادي المركزي القديم one centralised economic system وهو الموديل الاقتصادي السياسي المركزي الأحادي لا محالة وأن شخصية الرئيس الصيني الحالي وتمدده بالسلطة وتعديل الدستور ليستمر في الحكم يتفق وسير التبدلات نحو المركزية الواحدة وربما تتسارع المركزية فيه نحو الاقتصاد الأحادي، وتنتهي التركيبة الاقتصادية الثنائية في تلك البلاد تدريجياً بسبب الحرب الباردة الناعمة والستار الحديدي الجديد لتسير الصين بنمط مماثل للاتحاد السوفياتي القديم ولكن بنسخة مخففة ما يجعل سباق الصين مع العالم الغربي تكنولوجياً واقتصادياً في مسار التقييد أو التراجع وهذا ما تؤكد بدايات تغير دورة معدلات النمو الصينية في الاقتصاد والتي تحصد اليوم نصف معدلات النمو مما كانت عليه الصين قبل 20 عاماً لتتحول من موديل اقتصادي يمثل شبه اقتصاد السوق الحر الحمراء semi



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK

www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي للتنمية

semi central red free red market الى موديل شبه اقتصاد مركزي احمر
!economy

(*) باحث وكاتب اقتصادي أكاديمي، نائب محافظ البنك المركزي الأسبق، والمستشار المالي
لرئيس الوزراء العراقي

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى
المصدر. 8 كانون الأول 2021

<http://iraqieconomists.net/ar/>